

الاستمداد الأسطوري في المفاهيم الثالوثية المسيحية

The legendary inference in Christian Trinitarian Concepts

الأستاذ الدكتور: محمد بودبان

مدير مخبر الدراسات العقديّة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة_ الجزائر

ملخص:

أحاول في هذه الكلمات مناقشة مسألة الاستمداد الأسطوري وسريان الأسطورة إلى المفاهيم الثالوثية المسيحية؛ من خلال تتبع انعكاس صور تلك المفاهيم في أشكالها وبنائها وصيغها في الفكر الديني السابق على المسيحية؛ وتحديدًا في البيئة التي كانت الحاضنة لنشأة المفاهيم المسيحية عمومًا، والثالوثية خصوصًا.

حيثُ تتقل لنا صفحات تاريخ الأديان تأثيرات معتقدات دينية لأمةٍ أو حضارةٍ ما في أخرى، وانتقال معتقداتٍ معينةٍ من بيئةٍ لأخرى؛ تتغير الأسماء ريمًا، تتغير أجزاء المفاهيم؛ ولكن الفكرة الدينية هي هي. ولذلك سنحاول تتبع ذلك في النموذج المدروس من خلال تتبع القنوات الناقلة لوعاء الفكرة الدينية وتصوّر المفهوم؛ ورصد الطريقة التعبيرية الواردة في النصّ الديني المقدّس كلّما كان ذلك ممكنًا.

كلمات مفتاحية: دين، أسطورة، خرافة، كتاب مقدس، تثليث.

Absract :

With these words, I will try to discuss the legendary source of mythology ,and the appliance of myth to Christian Trinitarian concepts by tracing the reflection of these concepts in their forms, structures and forms in pre-Christian religious thought; specifically in the environment that fostered the development of Christian concepts in general and of the Trinity in particular.

The scriptures of the history of religions convey the effects of religious beliefs of a nation or civilization through one another, and the transfer of certain beliefs from one environment to another; the names might change; the parts of concepts change could change as well; but the religious idea romains immuable. Therefore, we will try to investigate, fulfilling the steps of the studied model by following the sources conveying the religious idea and conceptualizing the concept; and monitoring the expressive way within the sacred religious text whenever possible.

Keywords: Religion, legend, Myth, Bible, Trinity.

1. مفهوم الأسطورة

فأما من حيث اللغة فهي عائدة إلى الجذر (سطر): سَطَرَ، واسْتَطَرَ: كتب؛ ويسَطُرُ الكتاب: يخطُّه ويكتبه... وكتب سَطْرًا من كتابه، وسَطَرًا، وَأَسْطَرًا، وسَطُورًا، وَأَسْطَارًا. ومُسْتَطَرٌّ: اسم مفعول من "استَطَرَ": مكتوب. وسَطَرَ علينا فلانٌ: قصَّ علينا من أساطيرهم¹. ووقع مرادفةً الأساطير لغةً بالترهات " - بضمّ المثناة وتشديد الراء، وتخفيف الهاء - واحدها ترهة؛ وهي فارسيّ معرّب؛ أصلها: الطُرُق الصغار - غير الجادّة - تتشعبُ عنها؛ ثمّ استُعير للباطل"². واستظهر الطاهر بن عاشور أنّ الأسطورة لفظٌ معرّبٌ عن الروميّة: أصله إسْطوريا - بكسر الهمزة- وهو القصّة؛ ويدلُّ لذلك اختلاف العرب فيه؛ فقالوا: أسطورة،

1- مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي: بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ (220/3).

مجمع اللغة العربيّة: معجم ألفاظ القرآن الكريم، (1/ 571).

2- ابن حجر العسقلاني: تفسير غريب الحديث، ص 120.

الاستمداد الأسطوري في المفاهيم الثالوثية المسيحية _____ أ.د- محمد بودبان

وأسطيرة، وأسطور، وأسطير - كلها بضمّ الهمزة- وإسطارة وإسطار - بكسر الهمزة- والاختلاف في حركات الكلمة الواحدة من جملة أمارات التّعريب؛ ومن أقوالهم: "أعجمي فاعلم به ما شئت". وأحسن الألفاظ لها: "أسطورة" لأنها تُصادف صيغةً تفيّد معنى المفعول، أي القصة المسطورة؛ وتقيد الشهرة في مدلول مادّتها، مثل: الأعجوبة، والأحداث، والأكرومة.¹

وأما من حيث الاصطلاح: فهي تختلف بحسب المذاهب الفكرية والدينية للباحثين في مجالاتها؛ حيث إنّه ليس من شيء اختلفت فيه أنظار الباحثين وأقوالهم كالاختلاف في مباحث الظاهرة الدينية بمختلف تجلياتها ودقائقها على السواء؛ وإنّ ذلك يعود بصورة أساس إلى الآتي:

- اختلاف الباحثين من حيث دياناتهم، ومذاهبهم الاعتقادية.
- اختلافهم من حيث مواقفهم من الدين؛ بحيث نجدهم بكلّ ألوان الطيف: من منكر الدين والوحي والنبوّة؛ إلى المتعصب من دون براهين معتدّ بها؛ المنتحل لكلّ جزئية حياتية - ماضية وحاضرة - صورة دينية.
- اختلافهم الشديد من حيث مذاهبهم ومدارسهم الفكرية والعلمية؛ حيث تتعدّد المنطلقات والتوجّهات كذلك. فنجد مثلاً الباحث في اللغويات واللسانيات يبحث في الظاهرة الدينية من خلال الحفر في أعماق العلامات اللسانية وإنتاجها للمعنى وكذا تأويله؛ وآخر من إحدى المدارس في الدراسات الاجتماعية، أو الأنثروبولوجية، أو النفسانية، يدرس بصورة أغلب العلامات غير اللسانية، وفي ما يحتف بالنص من حواف، والبحث في روح الطقس والممارسة الدينية ونحوها من الأمور.

- اختلافهم في المقاصد - انطلاقاً ممّا سبق بيانه من الاختلاف في المنطلقات، وأدوات البحث - فالمقتنع بالصنعة البشرية للدين؛ لا تكون مساراته البحثية،

1- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، (182/7).

وتوظيفه للمعطيات، كمن تكون منطلقائه وَحْيِيَّةٌ؛ فالأفكار المسبقة تحاول التأثير
دوماً في مقاصد الباحث والباحث.

وعلى ذلك نذكر هنا بعض الأقاويل في تحديد مفهوم الأسطورة، ونحاول أن نُشْفِعَهَا
بالتعليق، وذلك كالآتي:

1/ عند المسيحيين: ومنها هذا التعريف الوارد في معجم الإيمان المسيحي: « رواية
رمزيَّة، تقوم على تفسير وضعٍ من الأوضاع الأساسيَّة، أو الكونيَّة، أو البشريَّة؛ بالعودة إلى
نشأته - المفترض أن تكون قد نشأت في مكانٍ وزمنٍ "أصليين" - وهي ذات طابعٍ دينيٍّ
عادةً»¹.

2/ عند المسلمين: ونفصِّل هنا أن ننظر إلى مفهومها بحسب ما ورد في النِّص
المقدَّس كالآتي:

أ/ ورد في القرآن الكريم ذكر الأسطورة بصيغة الجمع فقط " **أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**"، في
ثمانية مواضع: في الأنعام (25)؛ والأنفال (31)؛ والنحل (24)؛ والمؤمنون (83)؛ والفرقان
(5) وفي الأحقاف (17)؛ والقلم (15)؛ والمطففين (13).

قال الطبري: هو: « من قول الله تعالى: « **وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ** » [الطور: 2] ؛ فإن كان
من هذا؛ فإنَّ تأويله: ما هذا إلا ما كتبه الأولون. وقد ذُكِرَ عن ابن عباسٍ وغيره أنَّهم كانوا
يتأولونه بهذا التأويل؛ ويقولون معناه: " إن هذا إلا أحاديث الأولين"»².

وكان العرب يطلقونه على ما يتسامر الناس به، من القصص والأخبار على اختلاف
أحوالها من صدقٍ وكذبٍ؛ وقد كانوا لا يميِّزون بين التواريخ والقصص والخرافات؛ فجميع
ذلك مرميٌّ بالكذب والمبالغة.³ فقولهم: « **إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** » يحتمل أنَّهم أرادوا
نسبة أخبار القرآن إلى الكذب، على ما تعرفوه من اعتقادهم في الأساطير. ويشتمل أنَّهم

1- صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ص 38-39.

2- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (308/11-309).

3- محمد الطاهر بن عاشور؛ مرجع سابق، (182/7).

أردوا أنّ القرآن لا يخرج عن كونه مجموع قصصٍ وأساطيرٍ؛ يعنون أنّه لا يستحقُّ أن يكون من عند الله؛ لأنّهم لقصور أفهامهم، أو لتجاهلهم يُعرضون عن الاعتبار المقصود من تلك القصص؛ ويأخذونها بمنزلة الخرافات التي يتسامر النَّاسُ بها لتقصير الوقت.¹

ب/ في السنّة النبوية: في المصطلح النبوي: هي أحاديث خرافة²؛ وقد فسّر الإمام البخاري في صحيحه الأسطورة بالترّهة³؛ وفي حديث الحسن: «سأله الأشعث عن شيء من القرآن فقال له: "إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تَسْطُرُ عَلَيَّ بِشَيْءٍ"» أي ما تُرَوِّجُ وتُلبِّس. يقال: "سَطَّرَ فلانٌ على فلانٍ": إذا زخرف له الأقاويل، ونمّقها؛ وتلك الأقاويل: الأساطير والسُّطُر⁴.

3/ تعاريف اصطلاحية: من ذلك الآتي:

- الأسطورة هي رواية أعمالٍ إلهية، أو كائنٍ خارقٍ ما؛ تُقصُّ حدثًا تاريخيًا خياليًا؛ أو تشرح عادةً، أو معتقدًا، أو نظامًا، أو ظاهرةً طبيعيّة⁵.

- يعرفها ميرسيا إلياد بأنّها قصّة مقدّسة، تتكوّن من أفعالٍ قامت بها كائناتٌ عليا، وتتعلّق دائمًا بخلق شيءٍ جديدٍ⁶.

- عرّفها بعضهم بأنّها: "الأحاديث التي لا نظام لها"⁷.

وبعد سوقنا لهذه المحاولات في تدقيق المفهوم الاصطلاحي للأسطورة، نوّد التعليق على ما سبق في النقاط التالية:

1- المرجع نفسه؛ (182/7).

2- عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص59.

3- البخاري: تفسير القرآن، أوّل الكتاب، ص958.

4- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد الجزري ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص429.

5- أمين سلامة: الأساطير اليونانيّة والرّومانيّة، ص10. التعريف مأخوذ عن ويستر.

6- انظر: كارم محمود عزيز: أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ص19.

7- محمّد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، (128/5). والمعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص59.

- قامت الدراسة العلميّة الموضوعيّة للمفاهيم المتعلّقة بالأسطورة على بحثها في أبعدها ما يمكن من الفكر الدّيني البشري؛ سواء في المصادر التاريخيّة وفق الأوعيّة العلميّة المتاحة؛ أو من خلال المشاهدة والدّرس لأقرب الصور إلى الزمان الأوّل ذي الشكل البدائي للحياة الإنسانيّة في القبائل الهمجية في أستراليا ونحوها من العالم الجديد؛ حيث حاول الرّواد الأوائل بحث الماهيّات من خلالها، وكذا آليّات التشكّل، وبواعثه من خلال المقارنة بين الأساطير. وفي هذا يقول *Andrew Lang*: «لقد أبرزنا إيماننا بأنّ أجزاءً معيّنة في الميثولوجيا هي نابعة من الحالة العقليّة لدى الهمجيين... ومن رأينا أنّ الأسطورة تتأثّر بصورة واضحة بالتنوّع الثقافي الذي يسود لدى من يسمّون بـ: " القبائل الهمجية" في دنوّها أو بعدها من الحال القصوى من الهمجية»¹.

- من حيث التعاريف؛ نجد أنّ من الباحثين من يُرادف بين الأسطورة والخرافة، والرّثّة، والأباطيل؛ ومنهم من يُضيف إليها - جزئيّاً أو كليّاً - عناصر الحقيقة، وينفي البطلان في حديثه عن معانيها. يقول الباحثان *Steve Bruce* و *Steven Yearley*: «الأساطير حين التعريف لا تعني الباطل؛ وإنّما هي حكايا شعبيّة دينيّة أو لها قداسة؛ تقوم بتفسير نشوء العالم، وخلق الإنسان؛ أو تتحدّث عن الله، أو ممارسة اجتماعيّة ما»².

- في التعاريف للأسطورة ثمة من يقصّها على ما يفصّر التكوّن والخلق والبدائيات؛ ومنهم من يوسّعها بحيث تلتبس بالحكايا والقصص الشعبي ونحوها - وهي حقيقةً متقاربة نوعاً ما ولكن لا تستغرقها وتتطابق معها كليّاً -.

- يركّز الباحثون في بحث مضامين الأسطورة على استمداداتها في تشكيلها لقوّتها على أمرين: الصبغة التقديسيّة، والممارسة الطقسيّة. كما يهّمهم التّركيز على

1- Andrew Lang: *Myth, Ritual And Religion* , (2/344) , لدى القبائل .

الهمجيّة أوّل الأمر ثمّ استمرّ في التّتبّع عبر التاريخ والحضارات.

2 - Steve Bruce and Steven Yearley: *The Sage Dictionary of Sociology*, p205.

التناقف الأسطوري بين الشعوب والأمم والجماعات الدينيّة، وبحث أثر ذلك كلّه في حياة الأسطورة وتطورها واستمرارها؛ وإن اختلفت بعد ذلك الأشكال والشخصيّات والتدقيقات والتفصيلات التي تغيّر كثيرًا من جوهر الأسطورة.

وأما من حيث الخصائص: فيمكننا إحصاء الآتي - على خلاف بين الباحثين فيها،

بين مثبتٍ ونافٍ، ومفصلٍ-:

- إنَّ الأسطورة زماؤها خارج التّاريخ؛ وليست من الواقع التّجريبي؛ وعالمها فانتازيا خاصّةً بها¹. وهذا في ظنّي فيه تحجيمٌ لأنواع الأساطير إن قُصد به أنّها لم تكن ولم تحدث في زمانٍ حقيقيّ؛ إذ هذا الكلام يحمل تعميمًا تنقّضه بعض الأساطير التي تحدّد الحقبة الزمانيّة لحدوثها، ولو بشكلٍ تقريبي غير دقيق. وإن قُصد به أنّه زمانٌ لا يمكن تحديده إلاّ بمقارنته بزمان البدايات والتكوين، فيكون محتتملاً ومقبولاً كمفهومٍ واصطلاحٍ. ولربّما يُقصد بذلك من منطلق من رأى كون الأسطورة من الأباطيل، فهي لم تحدث إلاّ في زمنٍ متخيّلٍ مفترضٍ.

- إنّه كلّما ازداد عمق الأسطورة في الزمن السحيق؛ كلّما ازدادت تعقيدات مظاهرها، وصورها، وتجلياتها؛ وارتباطُ النَّاس بها؛ وبخاصّةٍ حينما ترتبط بالتجربة الدينيّة؛ ويكثر تشعبها داخل وعي المتديّنين المؤمنين بها.

- الأساطير لدى مدرسة التحليل النّفسي كالأحلام؛ لغتها بدائيّة وأثريّة ورمزيّة؛ ولها مظهرٌ لغويّ مريضٌ؛ فاللغة منطقيّة وعقليّة، بينما الأساطير عبارةٌ عن أباطيل- حسبهم- ومن ثمّ فإنّها بالنسبة للغة مظهرٌ من المظاهر المرضيّة، كالأعراض للعُصاب².

- يرى الكثيرون أنّ الأسطورة تكون دينًا في أغلب الأحيان؛ والحقيقة أنّه لا يمكننا أن نجعل من الدّين والأسطورة شيئًا واحدًا - إلاّ حين الاعتقاد بأنّ الإنسان

1- عبد المنعم الحفني؛ مرجع سابق، ص59.

2- المرجع نفسه، ص60.

صانع دينه بشكلٍ فرديٍّ أو جمعيٍّ؛ ويشعورٍ منه ومن دونه-. حقيقةً يمكن للأسطورة أن تستوعب فكرًا دينيًا بأكمله؛ غير أنّ الدين يدخل في تكوينه عناصر عديدة: مفاهيم وعقائد وممارسات؛ وإذا أخذنا بمفهوم Robert Audi للدين حين يقول: " إنّ الأديان في الأغلب أنظمةٌ معقّدةٌ من الأمور النظرية والممارسات؛ وتتضمّن كلّاً من الأساطير والطقوس"¹؛ فإننا نقول حينها: إنّ الأسطورة تُنشئ مفاهيمَ عقديّةً وقد تكون العقيدة أسطوريّةً. وإذا كانت الأسطورة تفسّر الطقس فهي حينئذٍ ليست إيّاه؛ ومحصل الكلام: أنّ الأسطورة صبغةٌ للدين، وليست دينًا بالضرورة.

- لعلّ أبرز ما يميّز الفكرَ الأسطوريَّ هو ذلك الارتباط الوثيق بالدين... فيذكر ميرسيا إلياد أنّ من خصائص الأسطورة أنّها قصّةٌ مقدّسة، تتكوّن من أفعالٍ قامت بها كائناتٌ عليا، وتتعلّق دائماً بخلق شيءٍ جديدٍ؛ كذلك يذكر كاسيرر أنّ الخيال الأسطوري ينطوي على العقيدة، وبدونها تفقد الأسطورة أرضيّتها².

وأما من حيث مكانة الأسطورة ووظيفتها: فنسجّل من الملاحظات الآتي:

- الأسطورة تلعب دور الدين، والفنّ للعلم في الدنيا القديمة؛ ويجتمع حولها الشعب، وتتسبب إليه. والأساطير من عوامل التّأصيل القومي؛ واستمرارُ الاستماع لها، وتصديقها يرسّخ الاعتقادات، ويزيد الإيمان، وينشئ الأعراف والتقاليد.³

- الاهتمام العلمي الاجتماعي بالأساطير يتركّز فيما يمكن أن نطلعنا عليه من القيم المركزيّة التي يلبّس بها الأناس الذين يحملونها؛ عن التوتّرات النفسيّة والاجتماعيّة الدائمة التي يعبرون عنها؛ عن البنية الأساسيّة للعقل الإنساني التي ينبغي تمييزها من خلال تحليلاتهم⁴.

1 - Robert Audi: *The Cambridge Dictionary of Philosophy*, p696.

2- كارم محمود عزيز؛ مرجع سابق؛ ص 19.

3- عبد المنعم الحفني؛ مرجع سابق؛ ص 60.

4 - Steve Bruce and Steven Yearley, op.cit, p205.

- الأساطير حلقة إصال هامة بالماضي؛ وكثيراً ما تكون هي المصدر الوحيد لمعارفنا عن الكيفيّة التي نظر بها أسلافنا الأقدمون إلى العالم حولهم، وكيف فسّروا ظواهره العديدة¹.

- عند علماء النّفس من مدرسة التحليل النّفسي، فإنّ الأسطورة تعكس أغوار نفسيّة الشعب؛ وهي تعبيرٌ عن لاشعوره، وتصويرٌ لما عليه الأمور بين النّاس في حقيقة الأمر تصويرًا يتّخذ شكل الرموز².

- يُنظر إلى الأسطورة كزاوية نظرٍ تاريخيّة؛ "وكلّ ما هنالك أنّ التّاريخ الصحيح لا يرصد الأساطير، ولا يأبه بالشائعات والحيل التي لا تقوى على الوقوف كوقائع على قدميها"³. وتختلف الأسطورة عن التّاريخ؛ فالأسطورة موضوعها بدايةً الكون والإنسان والشعوب. وعلى منوال الأسطورة تُسجّت رواية التّاريخ؛ غير أنّ زمان الأسطورة مخالفٌ لزمان الرواية التّاريخيّة، والأحداث فيها غير متتابعة؛ والتغليب فيها للثابت على المتحوّل⁴.

- لأنّ الأسطورة واقعيّة [عند البعض] ومقدّسة، فإنّها غدت نموذجاً؛ وبالتالي قبلت الإعادة والتكرار، وبانت القدوة؛ وراحت أيضاً تقدّم التبرير لكلّ ما يأتي الإنسان من فعلٍ. بتعبيرٍ آخر: تدلّ الأسطورة على تاريخٍ حقيقيّ جرت أحداثه في بداية الزمان، وتفيد كنموذجٍ لسلوك البشر⁵. وإنّ الإنسان من المجتمعات القديمة بمحاكاته الأفعال النموذجيّة التي أتاها إله، أو بطل أسطوريّ؛ أو ببساطةٍ عندما

1- أمين سلامة؛ مرجع سابق، ص7.

2- عبد المنعم الحفني؛ مرجع سابق، ص60.

3- المرجع نفسه، ص72.

4- المرجع نفسه، ص177.

5- ميرسيا إيليايد: الأساطير والأحلام والأسرار، ص22.

يروي مغامراتهما إنّما يفصل ذاتُهُ عن الزمان الدنيويّ الخالي من القداسة، ويلتحق سحرًا بالزمان الكبير: الزمان المقدّس¹.

- المشكلة العامّة في تأويل الأساطير هي ذاتها في تأويل الأحلام: إذ ليس ثمة حدّ لتوليد التّأويلات المختلفة والمتنافسة؛ وما من سبيلٍ إلى معرفة الصحيح من ذلك الركام؛ يمكننا حقًا إجراء نقد أدبي مع أساطير؛ وإنّما يصعب حينها أن نرى إجراءات العلوم الاجتماعيّة².

2. مفهوم التثليث.

فأما من حيث اللغة: فقد جاء التثليث من العدد ثلاثة، وثَلثَ الاثنين يُثَلثُهما ثلثًا: صار لهما ثالثًا، أو كَمَلْتُهُم ثلاثة أو ثلاثين بنفسي، وأثَلثَ القومُ صاروا ثلاثة³.

وأما من حيث الاصطلاح الدّيني المسيحي: فقد وقع تعريف التثليث بأنّه: عقيدة الكنيسة وسرّ النّصرانية؛ يُعبّر به ويقرّر فيه أنّه يوجد في الله ثلاثة أشخاصٍ متميزة في طبيعة واحدة، أو جوهر واحد⁴. وعرّف قانون الإيمان المسيحي هذه العقيدة بالقول: "تؤمن بإله واحد الأب والابن والروح القدس؛ إليه واحد، جوهر واحد، متساويين في القدرة والمجد"⁵.

وينسب إلى ترتليان كونه أول من عزّف الثالوث بوضوح، وهذا في كتابه "ضد باركسياس *Parxeas*" حيث قال: "أؤمن أنه يوجد جوهر واحد في الثلاثة"، ويرى اللاهوتيون المسيحيون أن هذا الكلام لا يعني كون عقيدة التثليث دخلت حيّز الوجود عند

1- المرجع نفسه، ص22.

2 - Steve Bruce and Steven Yearley. op.cit, p205.

3- ابن منظور: لسان العرب (دط) دار المعارف (دب)، (دت)، (1/ 497)؛ ومجد الدين الفيروزآبادي:

القاموس المحيط، ت خليل مأمون شبحا؛ (ط2)، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 2007م، ص178.

4- *dictionnaire de la theologie Catholique* p630 . et E.Royston Picke : *Dictionnaire des Religions*, p308. "Il y a en Dieu trois personnes réellement distinctes dans l'unité d'une seule nature ou essence".

5- نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدس، ص107.

هذه النقطة من التاريخ.¹ غير أنّه ينسب لترتليان أيضاً أنه أول من استعمل مصطلح شخص (Persona).² والتي تُرجمت في العربية إلى "أقنوم".

ولقد اضطرَّ النُّصارى لقراءة نصوص العهد القديم بمنهج تأويلي، ليُنصح لهم عن عقيدة التثليث، ولهذا قالوا: إنّه لم يوح في العهد القديم بثالوث الأقانيم في الله لكنّه مهّد لهذا الوحي بطرق مختلفة (مواضيع الرّوح والحكمة وأبوة الله نحو شعبه ونحو المسيح) فالوحي التّام الذي تمّ في يسوع المسيح - حسبهم - مكنّ من إدراك ما تعنيه تماماً تلك التّمهيدات.

وفي ذات السياق، فإنّ العهد الجديد بدوره لا يحتوي على ألفاظ "ثالوثية"³؛ وإنّما حاول النُّصارى الاستدلال عليه بذكر الألفاظ المكوّنة له مجتمعة؛ فقالوا إنّه يظهر عدة مرات في الأناجيل، وفي إنجيل متى - تحديداً - أول ظهور للثالوث مجتمعاً⁴ خلال عماد المسيح،⁵ وقبيل صعوده إلى السماء - وفق اللاهوت المسيحي- دعا المسيح تلاميذه صراحة لتعليم الأمم وتعميدهم⁶ باسم الثالوث مجتمعاً⁷.

وجاء في دائرة المعارف الكتابية أنّ: "الكتاب المقدس لا يذكر هذا اللفظ بالذات تعبيراً عن مفهوم أنه: ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي؛ وأنّ في وحدانية الله ثلاثة أقانيم، هم واحدٌ في الجوهر، ومتساوون في الأزلية والقدرة والمجد، لكنهم متميزون في الشخصية".⁸ ثمّ قالوا بعد ذلك: "عقيدة الثالوث عقيدةٌ كتابيّةٌ ليس باعتبار ورودها نصاً في الكتاب المقدس، لكن باعتبارها روح الكتاب المقدس. وتظهر عقيدة الثالوث في نسيج الأسفار المقدسة، لا في صيغة محددة وإنما في إشارات متفرقة. وعندما نتحدث عن عقيدة الثالوث

1 - ميلتون فيشر: قانونية العهد الجديد، ص 58.

2 - حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي- يسوع المسيح عبر الأجيال، (528/3).

3- معجم الإيمان المسيحي، ص 163.

4- متى: 4: 16- 17.

5- بروس بارتون، رونالد بيرز، وآخرون: التفسير التّطبيقي للكتاب المقدّس، ص 17.

6 - متى 28: 19.

7 - 2 كورنثوس: 13: 14.

8 - دائرة المعارف الكتابية، (ط3)، (327/1).

فإننا لا نخرج عن دائرة الكتاب ولكننا نجمع شتات هذه الإشارات في مفهوم عقائدي واضح. وقد نعبر عن هذه العقيدة بأسلوبٍ فلسفيٍّ؛ وبعبارةٍ فنيةٍ لكنها لا تخرج بذلك عن كونها عقيدةً كتابيةً¹. والغريب في هذا الكلام الذي سقناه أنه يجمع بين محاولة البناء والهدم بالتعبير؛ فكيف لا تردّ عقيدةً في الكتاب، ثمّ توصف بأنها كتابيةٌ؟ وأنها روح الكتاب المقدّس؟ ثمّ تأتي في غير صيغة محدّدة، بل في إشارات متفرقة؟ ثمّ يأتي التعبير عنها بأسلوبٍ فلسفيٍّ؟ أي خارج عن أسلوب الوحي بها أصلاً؟

3. مناقشة الأسطورية في التثليث المسيحي.

نودُ في هذا المضمّار أن نناقش أمورًا بطريقةٍ علميةٍ؛ سواء وافق ذلك مخالفتنا للنصارى أم خالفها؛ فإنّ الإسلام علمنا الإنصاف والصدق والتنبُّت في أمورنا كلّها. وإنّ تتبعنا للثالوث المسيحي، والثالوثات الدينيّة السابقة عليه؛ بل ونهج التعديد ككلٍّ، يقفنا على عدّة حقائق؛ تكون مثمرةً حين ندرسها وفق محاور بعينها كالآتي:

أ/ المحور الأوّل: الفكر الديني الأسطوري السابق على المسيحية.

إنّه ليس يعنينا هنا مجرد بحث الثالوثات عبر الحقب الزمانيّة المتطاولة قبل ظهور المسيحية؛ وإنّما بحثُ مفاهيم التجسيد للمعاني، والرمزية في العبادة، وإدخال الآلهة عالم البشر؛ أو إدخال البشر على عالم الآلهة؛ ونقل الصراعات بين العالمين ... الخ.

كما إنّنا نشير هنا إلى دقيقةٍ منهجيةٍ مهمّة، وهي: أنّ مجرد التشابه في المعتقدات، والأفكار الدينيّة المختلفة، لا يلزم منه أن يكون هنالك تأثيرٌ أو تأثيرٌ بالضرورة؛ إلّا أنّه فيما يخصُّ فكرة الثالوث المسيحي فإنّ التأثير فيه بارزٌ وبقوّة؛ وذلك بسبب كون ما جاء به المسيح - وبحسب ما جاء في الأنجيل - يعدُّ امتدادًا لدين بني إسرائيل، والذي كان توحيدًا واضحًا، لا تتخلّله أساسًا أدنى فلسفة تعدّدية تبريرية؛ بل خاطب النّاس بحسب معهودهم من المبادئ والتصورات، بل والشرائع والتعبّادات؛ بما يجعل حتّى الأمور المسكوت عنها لديه، مفسّرةً بما سبق من شريعة موسى عليه السلام؛ وعلى ذلك فقد جاءت المفاهيم الثالوثية

1 - المرجع نفسه، (327/1).

مبتورة عن سياق الدّين السابق في بني إسرائيل - من جهة - وبالمقابل متصلةً ببيئة دينية وثقافية وفلسفية هليينية صنعتها وجمعت مكوناتها - من جهة ثانية - ثم من جهة ثالثة احتضنتها بيئة رومانية وثنية وريثة اليونان لم تشعر - بسبب ما اعتادته من وثنية صارخة - بذلك الفصام مع عهد النبوات والوحدانية في بني إسرائيل؛ وإنما أسبغت عليه تيريرات بأبعاد شتى لإحداث نوع مواممة وكفى.

وإنّ التثليث من أقدم المعتقدات الوثنية؛ فقد أجمع المحققون من الأركيولوجيين ونقاد الكتاب المقدس على وجود هذه العقيدة في الحضارات السابقة لولادة المسيح عليه السلام، يقول "برتشرود": "لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث، أو الواحد الثلاثي"¹ وقد كان له صلةً بعبادة الأبطال؛ تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ؛ فقد كانت الجماهير تعبد الأبطال - المتميّز من بينهم - ثم يتخذ هذا البطل له زوجةً، فتحتلّ معه منزلة الألهية. وبعد الإنجاب يعين البطل أحد أبنائه ليتولّى مكانه فيما بعد، فمسجد له الجماهير، ويتمّ بذلك الثالوث².

والبابلون هم أوّل من نظمّ الآلهة أثلاثاً، وهذا في الألف الرابع قبل الميلاد، فقد قسموا آلهتهم إلى مجموعاتٍ متميزة المكانة والقدرة، وجعلوها ثالوثات. وأشهرُ ثالوث في الديانة البابلية³ هو: "أنو" *Anou* إله السماء الأعلى وهو أبو الآلهة. "بل" *Bel* أو "إنليل"

1 - محمد علي برو: الكتاب المقدس في الميزان، ص334. نقلاً عن آسيا شكيرب: عقيدة التثليث وموقف المفكرين المسلمين منها (رسالة ماجستير)، نوقشت يوم 23 جانفي 2001م؛ ص 92.

2- توماس كارليل: الأبطال، ترجمة محمد السباعي، ط3؛ المكتبة المصرية بالأزهر: مصر، 1930م، ص 50-52. نقلاً عن آسيا شكيرب، ص92. والأمر عائد إلى التحقيب الثلاثي الآتي: عصر الآلهة *Age of gods*: أي الذي كان في الاعتقاد أنّ الآلهة تحكم الحياة، وتتصرّف في الأقدار؛ ثمّ كان عصر الأبطال *Age of heroes*، وفيه حلّ البطل الإنسان محلّ الإله؛ وقام الأبطال بتخليص الأوطان، وتحديد أراضيها. وتلا ذلك عصر الرجال *Age of men*، ويميّزه صراع النّاس العاديين مع الأشراف للمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات؛ وهو عصر الديموقراطية، وقيام الجمهوريات. عبد المنعم الحفني، مرجع سابق، ص530.

3 - ول وايرل ديورانت: قسّة الحضارة، (2/213).

الاستمداد الأسطوري في المفاهيم الثالوثية المسيحية _____ أ.د- محمّد بودبان
Enlil وهو سيد العالم الرضي وملك الإنسانية. ثمّ "إيا" **Ea** وهو إله المحيطات الذي خلق العقل.¹

وحصر السومريون آلهتهم في مجموعتين:

- **الثالوث الأول**: ويتألف من "آنو" إله السماء؛ و"أنليل" إله الأرض؛ و"إيا" إله المياه الجوفية. فجمعوا بذلك بين عناصر المادة الثلاثة: السائل والهواء والجماد.

- **والثالوث الثاني**: يتألف من: "شَمش" إله الشمس؛ و"سين" إله القمر؛ و"أدد" الذي يجمع كل عناصر الطبيعة.²

وعرف الهنود التثليث، وحسب **Briault** فإنّ الديانة البرهمية بدأت منذ القرن الثالث قبل الميلاد، ممتزجة بالوثنية الدرافيدية، فظهر التثليث الهندوسي **Trimurti**: "براهما" الإله الخالق، و"فيشنو" الإله الحافظ، و"سيفا" إله الدمار والفساد.³ ومكوّنات هذا الثالوث ليست ثلاثة أشخاص متميزة؛ وإنما ثلاثة مظاهر لبراهما.⁴

وعُرف كذلك في الديانة المصريّة القديمة؛ وقد جرى نظّم الآلهة فيها بشكل تسلسلي هرمي، من الأعلى إلى الأسفل؛ يبتدئ بالإله الأعلى (في البدء "رع" ثم لاحقاً "آمون" المحتجب عن الأنظار). وإنّ الكثير من الآلهة كانت منتظمة في ثالوثات؛ حتّى "رع" في بعض الأحيان شكّل - مع "خفرع" و"Temu" - ثالوث الشمس. "خفرع" يمثّل الشمس حال شروقها؛ "رع" شمس الظهيرة؛ و"Temu" حال غروبها.⁵

1- Denis Saurat: *Histoire des Religions*, p 97-98. Et P. Fournier : *Histoire des Religions non Chrétienne*, p 97.

2- لبيب عبد الساتر: *الحضارات*، ص42.

3- Briault ; *Polythéisme et Fétichisme*, p23-24. ; John Gaines Vaughan : *Religion ; a comparative study*; p252.

4- BERTRAM C.A WINDL: *Religions, Past and Present*, p216.

5 - John Nash : *The Trinity and Its Symbolism* , p33. (يدرس هذا المقال التثليث في فترة تمتد)

(في أربع ألفيات بأكملها).

وقد كانت أحياناً مجموعاتٍ من ثالوثات الآلهة، تجتمع معاً لتشكل تاسوعاتٍ؛ وعلى الأفل قد تكوّن مرگّب من سبعة وعشرين إلهًا، باجتماع ثلاثة تاسوعاتٍ¹.

وأما الثالوث الأكثر امتداداً في الزمان، فإنه تشكّل من "أوزيريس" "إيزيس" و"حورس"². وتحتلُّ أساطير أوزيريس مكانةً عريقةً في المثلوجيا المصريّة؛ وتمثّل الوجه الشعبي لهذه الميثولوجيا؛ فقد ظهرت منذ عصر الأهرامات (حوالي 2800 ق.م) واستمرت إلى القرون الميلاديّة الأولى؛ وانتشرت في بلاد اليونان والرومان؛ بل واجتاحت أرجاء العالم الكلاسيكي القديم.³ وهذا الانتشار في بلاد اليونان والرومان وغيرهما يؤهّل بيئتها لاحتضان التثليث المسيحي كما سيأتي بيّانه.

وفي إندونيسيا، عُبدت ثلاثة آلهة؛ كلُّ إله له جانبٌ خاص من السلطان والتدبير، وهم على التوالي: *Dibata Iturutt* الذي يبسط سلطانه على العالم العلوي؛ *Dibata* *Hengah* الذي يبسط سلطانه على العالم الأرضي؛ *Dibata Herah* الذي يبسط سلطانه على ما تحت الأرض.⁴

وعُرف التثليث في الديانة الزرادشتية، فعبدوا إلهًا مثلث الأقانيم، هو: "أهورمزد" و"متراث" و"أهرمان"، فأهورمزد هو الخلاق، ومتراث هو ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمان هو المهلك.⁵ وقد وجد في كتابات الشريعة الفارسية: "الثالوث اللاهوتي مضيء في العالم، ورأس هذا الثالوث موناد."⁶

ويمكننا أن ندوّن بعض الملاحظات على ما سبق بيّانه كالاتي:

1 - Ibid.

2 - Ibid.

3 - خزعل الماجدي: *الدين المصري*، ص 124.

4 - التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، ص 57-58. نقلاً عن آسيا شكيرب، مرجع سابق، ص 93.

5 - نقلاً عن آسيا شكيرب، مرجع سابق (3/702) *Bergier: Encyclopédie méthodique*.

6 - محمد علي برو: مرجع سابق، ص 338.

- نلاحظ أنّ النزوع إلى تجسيد الإله في الصورة الماديّة، أو إضفاء الصفات الإنسانيّة عليه؛ وإدخاله عالم النَّاس سمّة بارزة في الثالوثات السابقة على المسيحيّة؛ حيث إنّ من طبيعة الإنسان أن يخلع الصورة الماديّة على المعاني المجردة؛ لأنّ الإنسان قلماً يدرك المعنى المجرد إلّا أن تقوم له في نفسه صورةً ماديّة¹. وإذا نظرنا في آلهة اليونان - على سبيل المثال - لوجدنا فيها "صورةً مكثّرةً عن الإنسان؛ إنّ في شعورهم، أو في حاجاتهم؛ فهم يحبّون أو يحقدون أو يتألّمون. وليسوا كآلهة الشرق (مصر وما بين النهرين) عالمين بكلّ شيءٍ، وقادرين على كلّ شيءٍ؛ ولكنّهم يمتازون عن البشر بكونهم خالدين؛ وحياتهم مادّب متواصلةً من الكون والشهد؛ وأجسادهم هي المثال الأعلى في الجمال"².

- إنّنا نلاحظ كذلك أنّ صور ميلاد الإله من إله وإلهة، أو من إله وامرأة من عالم البشر، صورةً وردت بشكل لافت في الديانات السابقة على المسيحيّة. كما نجد أنّ وجود علاقة الولديّة والمولوديّة بين الآلهة والبشر موجودة كذلك؛ بما يُنشئ عادةً أنصاف الآلهة، وهم "الذين ولدوا من لقاء شخصيّة إلهيّة بشخصيّة بشريّة (**دهرقل**" ولد من الإله **زيوس**، والإنسانة **"الكمين"**)"³. والأبطال - حسب تصوّر هزيود- " قد ولدوا من علاقة نشأت بين آلهة وبشر"⁴. وقد عُظّموا وكرّموا كما "كرّم سگان ما بين النهرين" أنصاف الآلهة، و" العمالقة" مثل "جلجميش" السومري"⁵.

- ونلاحظ كذلك أنّه تكرّرت أساطير الإله الذي مات وقام؛ تمامًا كما في قيامة السيّد المسيح؛ وتتنمي إلى هذه المجموعة من الأساطير: أسطورة دُموزي وأنانا/

1- محمّد حسين هيكل: الإمبراطوريّة الإسلاميّة والأماكن المقدّسة، ص 179.

2- لبيب عبد الساتر: مرجع سابق، ص 154.

3- موسوعة تاريخ الأديان، كاتب المادة: "John Richard Thronhill Pollare"، (3/ 15).

4- لبيب عبد الساتر: مرجع سابق، ص 154.

5- المرجع نفسه، ص 42.

عشتار؛ وأسطورة بعل وعناة؛ وأسطورة إيزيس وأوزيريس¹. وكذلك فإنّ "أسطورة هبوط الآلهة إلى العالم الأسفل هي نموذج من أساطير الإله الذي مات وقام"².

ب/ المحور الثاني: الظروف الزمانية والمكانية لظهور التثليث المسيحي.

حقيقة ما أرمى فيه في هذا المحور هو تتميم المحور الأول؛ حيث أودّ توضيح البيئة الزمانيّة والمكانيّة التي نشأت فيها المسيحيّة وتطوّرت؛ لبحث مدى صلّوجها أن تكون حاضنةً للتأثّر الأسطوري في صياغة المفاهيم الثالوثيّة من عدم ذلك؛ وليسهل عليّ ذلك، فقد نظمتُ الكلام بحسب ثلاثة مؤشّراتٍ تمكّنا من قياس ذلك الصلوح من عدمه، وذلك كالآتي:

المؤشّر الأول: انقطاع الوصل بين العهدين في مسألة التثليث.

بحيث إذا كان المسيحيّون يحاولون دومًا أن يبيّنوا الاتّصال ما بين العهدين القديم والجديد، وتحديدًا في شهادة القديم للجديد؛ وبخاصة في المواعيد المسبانيّة، إلّا أنّهم يعجزون في مسألة التثليث أن يعقدوا وصلّة قويّة بين العهدين؛ فإنّه لم يعرف اليهود تنبيّه ولا تثليثًا - وإن كانوا كثيرًا ما يقعون في الشرك-.

ويحاول النصارى الذين سعوا إلى إثبات التناغم في صيرورة الدّين في بني إسرائيل منذ فجر الديانة إلى غاية مجيء المسيح عليه السلام أن يبزّروا عدم وجود عقيدة التثليث في سابق الأزمان من تاريخ بني إسرائيل والشريعة الموسوية، بالقول إنّه ثمّة وحّي بها ولكنّه غير تامّ ومكتملٍ إلا بمجيء المسيح³.

1- روبري بينديكتي: التراث الإنساني في الثراث الكتابي، إشكاليّة الأساطير الشرفيّة القديمة في العهد القديم، ص108.

2- المرجع نفسه، ص108.

3- See: Adolph Napoleon didron: *Christian iconography; or the history of christian art in the middle ages* Vol 2,p01.

وإذا كان لبولس دورٌ خاصٌ في توطيد دعائم المسيحية؛ فإنه في الرسائل التي كتبها، ميّز بين المسيحية واليهودية؛¹ وكان من أهم ما عقد فيه التمايز هو موضوع إلهية المسيح، وبنوته، ومفاهيم الخلاص.

وكان على المسيحيين أن يشرحوا ما قد يبدو لأوّل وهلة متناقضاً: كيف يمكن أن يكون الله واحداً، وفي الوقت نفسه أباً وبنياً؟ كيف يتسنى لإنسانٍ يولد ويحيا ويموت أن يكون إلهاً، في حين لا يجري على الله أيُّ تغييرٍ؟ وعليه فقد ولد علم اللاهوت المسيحي من الإجابة عن هذه الأسئلة؛ فسطح التفكير اللاهوتي في اتجاهات متباينة². ومن أعظم المعطيات التي لم يُسفهم فيها الحظ أن يجيبوا عليها إجابات شافية هو مخالفة التثليث للتوحيد في بني إسرائيل.

وإننا حين نتتبع ما يقوم به علماء النصارى خلال محاولاتهم التذليل على عقيدة التثليث، نجد أنهم في ثنايا كلامهم يُثبتون أنّ لهذه العقيدة بدايةً، وأنّها لها تطوراً، سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا - وليست بدايتها من العهد القديم - ويوضح ذلك لنا جلياً من خلال بيانهم عدم وجود الأدلة الواضحة من الكتاب المقدّس، وكذلك من خلال الكلام المتدرّج في تقرير الثالوث عبر المجامع النصارينية المتعاقبة خلال القرون الأولى من تاريخها؛ وأوّل مرة استعمل بها حسب اللاهوت المسيحي كان في مجمع نيقية³؛ وإلهية الروح القدس لم تتقرّر إلّا في المجمع الأوّل للقسطنطينية⁴. ثمّ لم ينته الكلام فيها؛ بل استمرّ الكلام حول طبيعة الثالوث، خاصّةً حول الطبيعة والمشيئة للأقنومين: "الأب والابن" ... إلخ. بل إنّ اللفظة في حدّ ذاتها متأخّرة في الظهور والاستعمال؛ في أواخر القرن الثاني في صفتها اليونانية عند ثيوفيلس الأنطاكي، وفي صفتها اللاتينية عند ترتليانوس⁵. وقد وجد النصارى بأنّ الكيفية

1- لبيب عبد الساتر: مرجع سابق، ص 202.

2- جان كامبي: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص 117-118.

3- دائرة المعارف الكتابية، مرجع سابق، (327/1).

4- *Dictionnaire de la Theologie Catholique* ; p598.

5- صبحي حموي اليسوعي: مرجع سابق، ص 163.

الاستمداد الأسطوري في المفاهيم الثالوثية المسيحية _____ أ.د- محمّد بودبان
"التي يوازنون بها بين التثليث والتوحيد بدون الانزلاق إلى تعدد الآلهة أو إنكار الثالوث هي
مشكلة من المشاكل اللاهوتية التقليدية".¹

ولقد كان ولا يزال التعلّم المسيحي يحاول التهوين من شأن عدم قدرة العقل على فهم
التثليث؛ والنّأي به عن تلك المسالك والمسارات؛ وتكرّر هذه الكلمات كثيراً في مصنّفات
النصارى: "إنّ عقيدة التثليث عقيدة سامية ترتفع فوق الإدراك البشري، ولا يدركها العقل
مجرّداً لأنّها ليست وليدة التفكير البشري بل هي إعلانٌ سماويٌّ يقدّمه الوحي المقدّس ويدعمه
الاختبار المسيحي".²

ويقول "جان كامبي": "نحن في كنائسنا، كلّ يوم أحد، نعلن إيماننا بتلاوة 'قانون
الإيمان' التّيقاوي القسطنطيني؛ وهذا النّصّ ما صيغ خلال مناظراتٍ فكريةٍ هادئة؛ بل غالباً
من خلال مصادماتٍ عنيفةٍ كانت تتعدّى مسائل العقيدة: مصادمات شخصية وثقافية
وإقليمية؛ وإبعاداً إلى المنفى، ومشاجراتٍ دموية، وتدخّلاتٍ عسكرية وبوليسية؛ هذه هي خلفيّة
صياغة قانون إيماننا".³

وعليه نخلص إلى أنّ انقطاع الوصلة بين العهد القديم والعهد جديد - رغم الحرص
المسيحي على إظهارها في شؤون الدّين كلّه- مؤشّرٌ على الاستمداد الخارجي لعقيدة التثليث
أسطورياً.

المؤشّر الثاني: التمكن الفكري، الفلسفي والثقافي الهلنستي في البيئة المسيحية
الأولى.

1- جوناثان هيل: تاريخ الفكر المسيحي، ص 358.

2- قاموس الكتاب المقدّس، مرجع سابق، ص 333.

3- جان كامبي: مرجع سابق؛ ص 118.

التثليث قد تأثر بالأفلاطونية؛ والأفلاطونية الجديدة هي عبارة عن فلسفة دينية، أو دينٍ مُفسّف¹. وتركّزت عنايتها في محاولة إنتاج مذهبٍ فلسفيّ يمكن أن يلبي مطامح الإنسان الروحية جميعاً: عقليّة، ودينيّة، وأخلاقيّة؛ وذلك بتقديم صورةٍ شاملةٍ ومنسّقةٍ منطقيّاً للكون، ولمكان الإنسان فيه؛ وبشرحه لكيفيّة تحقيق الإنسان للخلاص؛ وكيفيّة استعادة توازنه، وحالته الأصليّة المفقودة². وظهر الأثر واضحٌ في الإنجيل الأخير حيث في فاتحة إنجيل القديس يوحنا: يسوع كلمة الله الذي صار بشراً؛ إنّه الكلمة الذي خلق العالم...

وقالت النصارى: إنّ لفظ "لوغوس" لفظٌ كتابيٌّ؛ إذ يتردّد كثيراً في العهد القديم للحديث عن كلمة الله. لكن فلاسفة الإغريق كانوا يتحدثون أيضاً عن "اللوغوس" حديثهم عن الفكر، أو عن العقل الإلهي؛ وهذه نقطة لقاء بين المسيحيين والفكر اليوناني³.

وأما نحن فنقول: إنّ اللفظة: "لوغوس" غير كتابيّة بل مستعارة من الفلسفة اليونانيّة؛ ومركز التأثر كان انطلاقاً من مدينة الإسكندرية. وقد: "عُرفت الفترة الممتدة من تاريخ اقتسام الإمبراطوريّة (312 ق.م) حتّى الفتح الروماني بعصر: "هليّنة الشرق" أي تطعيم الشرق بحضارة الإغريق؛ وتلك كانت فكرة الإسكندر نفسه، ليؤمّن بذلك ديمومة إمبراطوريّته. فكان كلّما أسّس مدينةً دعاها باسمه "الإسكندريّة" وسعى إلى تزويج جنوده من نساءٍ شرقيّات ليأمنوا الثورة عليهم... فنتج من ذلك انصهارٌ في المجتمع والأخلاق والفكر والفن؛ وتمازجت معتقدات الشرق مع آلهة اليونان... ولمع نجمٌ إسكندرية مصر حتّى غدت عاصمة العالم الهليّني، أي اليونان والمشرق معاً"⁴.

1- حربي عباس عطيتو: الفكر الفلسفي والذيني في مدرسة الإسكندرية القديمة وتياراتها العلميّة والفنيّة،

ص129؛ نقلا عن يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص285.

2- المرجع نفسه، ص129-130.

3- جان كامبي: مرجع سابق، ص 117.

4- لبيب عبد الساتر: مرجع سابق، ص179.

الاستمداد الأسطوري في المفاهيم الثالوثية المسيحية _____ أ.د- محمّد بوديان

وتعتبر مدينة الإسكندرية - بلا شك - في مقدّمة المراكز العلميّة التي ازدهرت منذ نشأتها؛ وغصّت بالعلماء من مصريّين وساميّين، ويونان، ورومان؛ فنافست أثينا، وكانت حلقة الاتّصال بين الشرق والغرب¹.

وحيث إنّه من المعلوم أنّ اليونانيّين كانوا "أكبر صانعين للأسطورة"²؛ فإنّنا نخلص إلى أنّ البيئة الهلينيّة الطافحة بالفكر الأسطوري، كانت في أتمّ الاستعداد لاحتضان فكرة التثليث، ودعمها وإمدادها بالروح الفلسفيّة والفكريّة اللازمة من أجل التغلّب على مشكلات التصوّر والدعائم الدنيويّة.

المؤشّر الثالث: حدوث التواصل مع الوثنيّة الرومانيّة.

عصر ولادة المسيح، أصبحت روما عاصمة العالم القديم، ووارثةً لعددٍ من التقاليد الأسطوريّة.³ وأوجد الرومان لأنفسهم ثالوثاً: "ثالوث كابيتولين المكوّن من "جوبيتير"، "جينو"، و"مينيرفا"⁴. وقد حصل التقارب، بل التمازج بين معتقدات الإغريق والرومان. وكان لسكّان "اليونان الكبرى" أثرٌ في ذلك؛ فقد نقلوا إلى إيطاليا معتقدات الإغريق.. ولما قيّض للإمبراطوريّة الرومانيّة أن تبسط نفوذها في اليونان والشرق قَبِسَتْ الكثير عن العالم الهليني المطعّم بمعتقدات وآلهة الشرق [إذ إنّ عمليّة الاندماج بدأت في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد.⁵] وتبنّوا ما ورد في الميتولوجيا الإغريقيّة؛ فكأنّها نابعةٌ من خيالهم ولم يقبّسوها.⁶ كما إنهم "لا بدّ أيضاً أن يكونوا قد تأثروا بالمرحلة الصوفيّة من ديانة الإغريق؛ وازداد شغفهم بالمراسم الدنيويّة الشرقيّة لما فيها من أسرارٍ وغموضٍ وأبهية".⁷

1- حربي عباس عطيتو: مرجع سابق، ص 51.

2- آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ص 127.

3- المرجع نفسه، ص 128-129.

4 - *Studies In The History Of Religions*; p337.

5- آرثر كورتل: مرجع سابق، ص 128-129.

6- لبيبي عبد الساتر: مرجع سابق، ص 198.

7- المرجع نفسه، ص 200.

ج/ المحور الثالث: التفريق بين الأسطوري والحقيقي.

بعد المعطيات التاريخية، الفكرية، والدينية، التي قمنا بجمعها وعرضها؛ نجد أنفسنا علمياً ومنهجياً نترتّب قبل النطق بالحكم والنتيجة؛ وسوف يكون نطقنا بهما من خلال عرضنا لموضوع أسأل الكثير من الحبر؛ ودارت حوله الكثير من حلقات البحث والنقاش؛ حيث أثار بعض الباحثين الغربيين مسألة الأسطورية في المسيحية لا في إلهية المسيح أو طبيعته وتشكيله للثالوث ابتداءً؛ بل تحدّثوا عن أسطورية الأصل وما يتفرّع منه؛ وهي أسطورية وجود يسوع.

وإنّ الجدّ حول ذلك¹ يعود إلى بداية الدراسة النقدية للعهد الجديد؛ ففي نهاية القرن الثامن عشر بدأ بعض التابعين للمتأله اللورد البريطاني "بولينغبروك" بنشر فكرة أن يسوع لم يوجد أبداً.² وفي بحثه: " لماذا أنا غير مسيحي؟" يؤكّد الفيلسوف برتراند راسل أنّه من الناحية التاريخية هناك شكّ فيما إذا كان المسيح قد وُجد فعلاً؛ وإذا كان قد وُجد فإنّنا لا نعرف عنه شيئاً.³ وفي فترة 1790 كتب بعض مفكرى عصر التنوير الفرنسيين الراديكاليين أنّ المسيحية ومسيحها كانت مجرد أساطير.⁴ ويؤكّد "شتراوس" أنّ التراث الإنجيلي قد نشأ عن عملية تلفيقية واسعة النطاق، انطلاقاً من تلك الأساطير - الشرقية القديمة- في عصر

1- ومن ادّعوا أنّه لم يعيش قط، أو أنّه لو كان قد عاش فإنّنا لا نستطيع أن نعرف عنه شيئاً هم فئة قليلة جداً. انظر: جوش ماكديويل: برهان جديد يتطلّب قراراً - إجابات لأسئلة تتحدّى المسيحيين في القرن الحادي والعشرين-، ص151.

2- روبرت فان فورست (Robert E. Van Voorst): يسوع المسيح خارج العهد الجديد - مدخل إلى الأدلّة القديمة-، ص 19.

3- جوش ماكديويل: مرجع سابق، ص151.

4- روبرت فان فورست: مرجع سابق، ص 19.

متأخّر عن عصر يسوع المسيح¹. ومن ثمّة نشأت تفرقات مصطلحيّة منهجيّة وصار الحديث عن مسيحٍ تاريخيٍّ حقيقيٍّ؛ ومسيحٍ دينيٍّ تمّ ابداع صورته وفق عملٍ كنسيٍّ².

والذي نعتقه في هذا المجال أنّ ثمّة شططاً في هذا الموضوع؛ فلا يصل الأمر إلى الادّعاء بأنّ وجود المسيح أصلاً أسطوريٍّ؛ ولكننا نقول بما قال به ف.ف. بروس: "إنّ حقيقة المسيح التاريخيّة تعدُّ أمراً محورياً بالنسبة للمؤرخ المنصف، كحقيقة يوليوس قيصر التاريخيّة؛ فليس المؤرخون هم الذين يروّجون لنظريّات: أسطورة المسيح"³. وقد ساق "لوقا تيموثي جونسون" وغيره الأدلة التاريخيّة على وجوده: من المصادر العلمانية، واليهودية، والمسيحيّة، ومصادر تاريخية أخرى.

وننحاز كذلك إلى *Paine* الذي كان يعتقد أنّ النصوص الكتابية الخاصّة بألوهية يسوع نصوصٌ أسطوريّة؛ إلّا أنّه في الوقت نفسه يعتقد أنّ يسوع عاش فعلاً⁴. كما نتوافق مع ليفيف من الباحثين "الذين يرون الأناجيل على أنّها مزيجٌ من المواد التّاريخيّة ذات المصادقيّة؛ والتأويلات اللاهوتيّة عن يسوع؛ مع تطوّرها بين زمنها وزمن المبشّرين"⁵.

وكذلك نردّد مع من قال أنّه من الخطأ التسليم بأنّ المرء يمكنه أن يقرأ التاريخ مباشرةً من صفحات الإنجيل؛ وبالمثل، من الخطأ التسليم بأنّ المرء يجب أن يتخلّى عن الإنجيل كي يجد التاريخ⁶.

1- انظر: روبر بينديكتي: مرجع سابق، ص 89.

2- المسيح التّاريخي هو السيّد المسيح وفقاً للحقائق والوقائع التّاريخيّة.. أي هو "السيّد المسيح الحقيقي". وهو مختلفٌ عن "المسيح الدّيني" الذي هو المسيح كما تصوّره المعتقدا المسيحيّة التّقليديّة. لوقا تيموثي جونسون: المسيح الحقيقي؛ المسعى الخاطئ للعثور على السيّد المسيح التّاريخي، وحقيقة الأناجيل التّقليديّة، ص 14. والكلام للمترجم لا للمؤلف.

3- جوش ماكديويل: مرجع سابق، ص 151.

4- المرجع نفسه، ص 151.

5- روبيرت فان فورست، مرجع سابق، ص 18.

6- لوقا تيموثي جونسون، مرجع سابق، ص 21.

وحقيقتُهُ الأمرُ أنّ ما خالف فيه المسيحيون ما كانت عليه شريعة موسى والأنبياء كان التأتُّرُ فيه واضحًا إلى حدِّ ما بالتراث الأسطوري السابق على تشكُّل الديانة في صورتها الأخيرة؛ فاختلطت فيه الحقيقة بالأسطورة؛ ولذلك نعتقد بضرورة التمييز بين كلا المسارين: الحقيقي والأسطوري؛ وذلك من خلال التتبع العلمي المنهجي لمختلف المسارات التي مرّت بها عقيدة الإلهية الثالوثية في المسيحية منذ نشأتها.

خاتمة:

في خاتمة هذا البحث نحاول أن نذكّر بأهمّ محطاته المستنبطة من المادة المعروضة فيه؛ وذلك كالآتي:

- اختلف الباحثون في مفهوم الأسطورة اختلافًا شديدًا؛ متأثرين بمنطلقاتهم العقديّة والإيديولوجية، والدينيّة والمذهبيّة والمنهجية؛ وهي بدورها أثّرت في طريقتهم في بحثهم لها.

- الأسطورة ذات صبغة دينية؛ وهي بدورها تصبغها؛ ولها حضورٌ في الديانات القديمة بشكلٍ يكاد يستغرقها بأكملها.

- عقيدة التثليث المسيحية تشكّل في بنائها الديني أهمّ مشكلةٍ في اللاهوت المسيحي إلى يوم النّاس هذا؛ بسبب إرادة الجمع بين الثالوث والوحدة للذات الإلهية من جهة؛ ثمّ بسبب حدوث انفصالٍ واضحٍ بين العهدين في هذه الحيثية التي لا نجد لها وجودًا في الديانة الإسرائيليّة من جهة ثانية؛ ثمّ بسبب تأخرها في الظهور والاستقرار من جهةٍ ثالثة. ومن جهةٍ رابعة: افتقار الكتاب المقدّس للألفاظ والمفاهيم الثالوثية الواضحة حتّى في العهد الجديد.

- يزخر الفكر الديني القديم السابق على المسيحية، بالمفاهيم الأسطورية للعلاقات المختلطة بين عالم الآلهة وعالم البشر؛ وإضفاء الصفات التجسديّة البشريّة على الآلهة؛ والتزاوج لإنجاب الأبطال أنصاف الآلهة؛ وموت الآلهة وقيامتها، ونزولها إلى ماوى الأموات ونحوها من المعتقدات.

- عرفت ديانات كثيرة التثليث في الألّهية، وبخاصة في الشرق القديم حيث ظهرت المسيحية؛ عند البابليين والسومريين والهنود، والمصريين القدماء والفرس، ثمّ اليونان والرومان وغيرهم.
- كان ثمة ما يمكن أن نسميه: " ثقافت أسطوري" فيما يتعلّق بالأساطير الوثنية في مختلف الحضارات والديانات في الشرق القديم فيما بينها؛ بين تأثّر وتأثير؛ وارتقى ذلك إلى فلسفته دينياً وروحياً؛ وكانت مدرسة الإسكندرية قد تلقّت كلّ ذلك؛ وصهرته في بوتقة هليينية؛ ربطت الشرق بالغرب؛ وبنّت إشعاعها في التّصوّر الوثني المسيحي؛ وأعطته مادةً تبريريّةً من خلال مسألة " اللوغوس" في الأفلوطينية الجديدة بشكلٍ أساس؛ ثمّ سهّلت التقارب مع الوثنية الرومانيّة الحاكمة إذ ذاك على مهد المسيحية وما جاورها من البقاع التي انتشرت فيها المسيحية.
- الذي توصلنا إليه كنتيجة رئيسة لهذا البحث، هي أنّ التثليث المسيحي غير أصل في الكتاب المقدّس، سواءً في كتب العهد القديم، أم كتب العهد الجديد؛ كما أنّه يعدّ مستمدّاً من الديانات الشرقية القديمة؛ من بعد صبغته بالصبغة الفلسفية الهلينية؛ ومحاولة المواءمة بينه وبين الوثنيّات السائدة في ذلك الزمان والمكان الذي انبثقت فيهما الديانة المسيحية. غير أنّه لا يمكننا سحب هذه النتيجة لتشمل الأمور الثابتة تاريخياً في المسيحية، كإنكار وجود شخص المسيح أصلاً؛ أو أنّ كل صغيرة وكبيرة في المسيحية هي أسطورة أو أسطوريّة؛ فذلك يعدّ من المجازفة العلميّة غير محمودة العواقب المنهجية.

قائمة المصادر والمراجع

- القاموس المحيط، ت خليل مأمون شبحا؛ (ط2)، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 2007م.
- بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ ت محمّد علي النجّار، (دط)، المكتبة العلميّة: بيروت-لبنان.
- ابن حجر العسقلاني: تفسير غريب الحديث، دار المعرفة: بيروت- لبنان.
 - ابن منظور: لسان العرب (دط) دار المعارف (دب)، (دت).
 - أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود وأحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية: القاهرة- مصر.
 - آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريحي، دار نينوى: دمشق- سورية، 2010م.
 - آسيا شكريب: عقيدة التثليث وموقف المفكرين المسلمين منها (رسالة ماجستير)، نوقشت يوم 23 جانفي 2001م.
 - أمين سلامة: الأساطير اليونانية والرُّومانية.
 - بروس بارتون، رونالد بيرز، وآخرون: التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، ترجمة شركة ماستر ميديا (دط)، القاهرة، مصر(دت).
 - جان كامبي: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة؛ ترجمة الأب أيوب الفرنسكاني والأب بولس جرس وآخرين؛ ط2، دار المشرق: بيروت- لبنان، 2002م.
 - جوش ماكديول: برهان جديد يتطلّب قرآراً - إجابات لأسئلة تتحدّى المسيحيين في القرن الحادي والعشرين-، (ط1)، دار الثقافة: القاهرة- مصر، 2004م.
 - جوناثان هيل: تاريخ الفكر المسيحي؛ ترجمة سليم اسكندر، ومايكل رأفت، ط1، مكتبة دار الحكمة: القاهرة- مصر 2012م.
 - حربي عباس عطيتو: الفكر الفلسفي والدّيني في مدرسة الإسكندرية القديمة وتيّاراتها العلميّة والفنّيّة، ط1، دار العلوم العربيّة: بيروت- لبنان، 1992م.

- حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي- يسوع المسيح عبر الأجيال - دار الثقافة: القاهرة- مصر، 1981م.
- خزلع الماجدي: الدّين المصري، ط1، دار الشروق: عمّان- الأردن، 1999م.
- دائرة المعارف الكتابية، (ط3)، دار الثقافة: القاهرة- مصر.
- روبير بينديكتي: التراث الإنساني في الثّراث الكتابي، إشكاليّة الأساطير الشّرقية القديمة في العهد القديم، ط2، دار المشرق: بيروت- لبنان، 1990م.
- روبيرت فان فورست (Robert E. Van Voorst): يسوع المسيح خارج العهد الجديد - مدخل إلى الأدلّة القديمة-، ترجمة وسيم حسن عبده، مراجعة وتعليق منذر الحايك، صفحات للدراسة والنشر: دمشق- سوريا، 2012م.
- صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر فيه من النّاحية المسكونيّة الأب جان كوربون، (ط1)، دار المشرق: بروت- لبنان، 1994م.
- عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة؛ ط3، مكتبة مدبولي: القاهرة- مصر، 2000م، ص59.
- ف.ف. بروس، ج. أ. بايكر، فليب كومفرت: قصة الكتاب المقدس، ترجمة: ندى بريدي، (ط1)، دار الثقافة: القاهرة- مصر، 2012م.
- كارم محمود عزيز: أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، دار الكلمة: دمشق- سورية، 1999م.
- لبيب عبد الساتر: الحضارات، ط17، دار المشرق: بيروت- لبنان، 2008م.
- لوقا تيموثي جونسون: المسيح الحقيقي؛ المسعى الخاطئ للعثور على السيّد المسيح التّاريخي، وحقيقة الأناجيل التّقليديّة؛ ترجمة محمّد الواكد، ط1، دار الأوائل: دمشق- سوريا، 2008م.
- مجد الدّين أبو السعادات المبارك بن محمّد الجزري ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، إشراف وتقديم: علي حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، (ط1)، دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، 1421هـ.
- مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي:

الاستمداد الأسطوري في المفاهيم التالوثية المسيحية _____ أ.د- محمّد بودبان

- مجمع اللغة العربيّة: معجم ألفاظ القرآن الكريم، الإدارة العامّة للبحوث وإحياء التّراث: القاهرة- مصر، 1989م.
- محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التّونسية للتّشّير، 1984م.
- محمّد حسين هيكل: الإمبراطوريّة الإسلاميّة والأماكن المقدّسة، دار الهلال: القاهرة- مصر.
- محمّد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، (دط) دار الفكر، بيروت لبنان 1979م.
- موسوعة تاريخ الأديان، (تحرير فراس السواح)، ط1، دار علاء الدّين: دمشق- سوريا، 2005م.
- ميرسيا إيلباد: الأساطير والأحلام والأسرار، (ط1)، ترجمة حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة: دمشق- سورية، 2004م.
- نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدس، هيئة التّحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكساندر طمسن، إبراهيم مطر، ط13، صادر عن دار مكتبة العائلة، القاهرة، وطبع بمطبعة الحرية بيروت- لبنان 2000م.
- Briault : **Polythéisme et Fétichisme**, Librairie Bloud et Gay, 1929.
- John Nash : **The Trinity and Its Symbolism ; The Esoteric Quarterly (an online journal)**; Spring 2005.
- Adolph Napoleon didron: **Christian iconography ; or the history of christian art in the middle ages : translated from the French by E.J. Milington, and completed with additions and appendices by Margaret stokes.** Vol 2, George Bell and sons, York street, Covent Garden: Londen; 1886.
- Andrew Lang: **Myth, Ritual And Religion** , Longmans, Green and Co, New York, Bombay, and Calcuta, 1913 .
- BERTRAM C.A WINDL: **Religions, Past and Present**, WILLIAMS and NORGATE LTD: London.
- Denis Saurat: **Histoire des Religions**, : les éditions Donoel et Steele : Paris-France, 1933.
- **dictionnaire de la theologie Catholique.**

- P. Fournier : *Histoire des Religions non Chrétienne*, A.G, Raudon : Paris- France , 1928.
- *Studies In The History Of Religions*; (Presented To HOWELL TOY by pupils colleagues and friends) ; The Macmillan Company ; New York; 1912.
- Robert Audi: *The Cambridge Dictionary of Philosophy*, (2nd edition), Cambridge University Press.
- Steve Bruce and Steven Yearley: *The Sage Dictionary of Sociology* ; 1st ed, Sage Publications Ltd : London, California, New Delhi, 2006.
- E.Royston Picke : *Dictionnaire des Religions*, adaptation française : Serge Hutin, Presses universitaires de France, Paris-France; 1954.
- John Gaines Vaughan : *Religion ; a comparative study* ; The Abingdon Press; 1919.